الفصل الثالث

الفضيلة بين الدُّنيا والآخرة

هل ينحصر مُتعلَّق الفضيلة بالثواب الأُخرويّ وحده ؟

أى أنَّ المرء فى انتهاجه سُبَل الحياة ، على صعيد فرديَّته أو أُطُره الاجتماعية المختلفة ، وفْق أوامر الله سبحانه ونواهيه ، وانضباطه حسبْ القانون الإلهى ....، متسلِّحاً بسلاح الفضيلة ذاتاً وقوْلاً وفعْلاً ، لمكابدة تيارات الحياة المتردِّدة ، ومصارعة عُتوِّها ... .

هذا المرء ليس لهُ من محصِّلةٍ سوى الثّواب الأُخرويّ إزاء كُلّ ما قدَّم وأعطى ، وأيضاً فليْس لِتِلْك الفضيلة من (ثواب) دُنيَويّ ؟!!.

هذا التصوّر الواهم لهُ أركانُهُ وجُنْده ، ونقول آسفين : بأنَّهُم الأكثريّة الساحقة من الناس ، فأقْدم بعضهم على التلبُّس بهذا الوهْم ، وأحْجم آخرون ، وكلا الطرفيْن يبْتر الحقيقة المنطقية الإيمانية ، بأن الأولى والآخرة وحدة لا انفصام لها .

المؤمن يعتقد ، ولا يتصور ، بأنَّ دنياهُ وآخرته متلازمتيْن ، وما الفصل بيْنهما إلّا عمليّة انتقال ، من فانيةٍ إلى باقية ..، وأنَّ دُنْياهُ أيضاً بالإضافة إلى أنها ميدان ابتلاءٍ واختبار ، جُزْئيةٌ مَوْصولة ...

إذاً ..، فإن مَرْدود كُلّ فضيلةٍ ، ترتكز عليها مسلكيّتُهُ تنعكس على واقعه الحياتى بقدْرٍ محدودٍ بحدود تلك الفضيلة ، تنعكس بمقاييس الفوْز الحقيقى ، أمْناً وأماناً ، واستقراراً ، وازدهاراً ، فى كُلّ جانبٍ من جوانب حياتِهِ ، فى ذاته ..، وفى عمله ...، وفى بيْته ...، وفى أُسْرته ...، ومجتمعه .

إن فضيلة التربية بالنسبة إلى الفتاة ذات متعلّق دُنْيوىّ وأُخروى ؛ لأنها من ناحية الحصاد بعد الزَّرْع تؤْتى أُكُلها فى الحياةِ الدنيا (أُسْرةً) نموذجيَّةً مثاليّة ، ولِبنَةً صالحةً ، قويّةً متينةً ، فى بناءٍ شامخٍ ، مهما تعرَّض للأنواء والعواصف

والهزات ، يظل متماسكاً ، أصْلُه ثابت وفَرْعُهُ فى السماء .

أصله ضارب فى الأعماق ، تمتدُّ جذوره فى باطن الكيان الاجتماعى ، وتنتشر فُروعه إلى عُلُوٍ وبروز ، واطراد إزهارٍ وإثْمار .

ذلك خِصْبُ الفضيلة فى الحياة الدُّنيا ، فمن زَرَع وغرس فيها ، أثمله أيضاً ..! ثم يستمرُّ العطاءُ إلى الآخرة وفيها ، وهو أعظم وأبْقى .

والخِصْبُ الدنيوىّ هل هُو حقيقة قائمةٌ ماثلة ، أم أنه مُجرَّدُ كلام !!! يُضْفى عليه من تزويق العبارة وتنميق المقال ما يُدَغْدِغ النفوس والأرواح ؟؟.

إنّه الفرْقُ بيْن الإيمان والكُفْر ، وبيْن الاعتقاد والإلحْاد ..؛

ولْو أنّنا تتبَّعْنا حِقَبَ الإشراق فى حياة الأُمّة الإسلامية ، لأدركْنا من غيْر ريْب أنّها كُلّما اشتدَّ لصوقها بدينها ، وانتظمت حياتها به ، سَمَتْ وارْتقت ، وأنها كلما أدْبرت ونفرتْ ، اندحرتْ وتراجعت ، وآدَّاركت إلى ذيْل المجتمعات وسحيق التأخّر والانحطاط .

وهذا على العُموم ...

أما على الخصوص ، فإنّ المرأة المسلمة فى مختلف مراحل حياتها ، من فتاةٍ إلى زوجةٍ إلى أُمّ ، فإنّها المعوَّل عليْها ، فى صُنْع الأجيال والرِّجال ...، فكلّما كانتْ حيَّة العقيدة ، والتصوُّر والمنهج كُلّما (صَدَّرت) للمجْتمع أعلى النماذج من القادة والحكّام وكُلّما (أُقْصيتْ) أو (تخلَّتْ) عن وظيفتها ودَوْرها ...، كلّما تداعى البناء ... بسبب وحداتِهِ المشتّة ، وآنْهار...!.

الأدِلَّـــةُ النَّقليَّـــة

١ ــ عن « عبد الله بن عمرو » ــ رضى الله عنهما ــ قال : قال رسول الله ﷺ :

« **كفى بالمرءِ إثماً أن يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوت** » ــ رواه أبو داود والنسائى ؛ ــ والحاكم إلّا أنه قال : « **مَنْ يَعُول** » وقال : صحيح الإسناد .

٢ ـ عن «الحسن» ـ رضى الله عنه ـ عن نبىّ الله ﷺ قال :

« إنّ الله سائِل كُلَّ راعٍ عمّا آسْتَرْعاه ، حَفِظَ أمْ ضيَّع ، حتى يَسْأل الرَّجُلَ عن أهْلِ بَيْتِهِ » ـ رواه ابن حبّان فى صحيحه .

٣ ـ عن « أنس بن مالك » ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسُولُ الله ﷺ :

« إنّ الله سائِلٌ كُلَّ راعٍ عمّا آسْتَرْعاهُ حَفِظَ أم ضيَّع » زاد فى رواية : « حتى يَسْأل الرجُلَ عن أهْل بَيْته » ـ رواه ابن حبّان فى صحيحه أيضاً .

٤ ـ عن « ابن عمر » ـ رضى الله عنهما ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« كُلُّكُم راعٍ وكُلُّكُم مسئول عن رعيَّتِهِ ، الإمامُ راعٍ ومسئول عن رعيّته ، والرَّجُل راعٍ فى أهْلِهِ ، ومسئول عن رعيّته ، والمرأة راعيةٌ ، فى بَيتِ زوْجها ومسئولة عن رعيَّتها ، والخادم راعٍ فى مال سيِّده ومسئول عن رعيَّتِهِ ، وكُلُّكُم راعٍ ومسئول عن رعيّتِهِ » ـ رواه البخارى ومسلم .

٥ ـ عن « عائشة » ـ رضى الله عنها ـ قالت :

« دَخَلَتْ علىَّ امرأةٌ ومعها آبنتان لها ، تَسْأل ، لم تَجدْ عندى شيْئاً غيْر تَمْرةٍ واحدة ، فأعطيْتُها إيّاها ، فقسمتْها بيْن آبنتيها ولم تأْكل منها شيْئاً ، ثُمّ قامتْ فخَرَجَتْ ، فدخل النبىُّ ﷺ علينا فأخْبَرْتُه فقال :

« من آبْتُلِىَ من هذه البناتِ بشيْءٍ فأحْسَنَ إليْهِنَّ كُنَّ له سِتْراً من النار » ـ رواه البخارى ومسلم والترمذى ، وفى لفْظٍ له : « مَن آبْتُلِى بشيْءٍ من البنات فَصَبَرَ عليْهِنَّ كُنَّ له حجاباً من النّار » .

٦ ـ وعن « عائشة » ـ رضى الله عنها ـ قالت :

« جاءتْنى مسكينةٌ تحمل ابنتيْن لها ، فأطْعَمْتُها ثلاث تمراتٍ ، فَأعْطَتْ كُلَّ واحِدةٍ منهما تَمْرةً ، ورفعت إلى فيها تمرةً تأْكلها ، فاسْتَطْعمتْها ابنتاها ، فَشَقَّتِ التَّمْرة التى كانت تريد أن تأكلها بيْنهما ، فأعْجبنى شأْنُها ، فَذَكرْتُ الذى صَنَعَتْ لرسول الله ﷺ ، فقال : « إنّ الله قَد أوْجَبَ لها بِهِما الجنّة ، أو أعْتَقها بهما من النّار » ـ رواه مسلم .

٧ ـ عن « أنس » ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال :

« **مَنْ عال جاريتين حتى تَبْلُغا ، جاء يَوْم القيامة أنا وهُو ، وضَمَّ أصابعَهُ** » ـ رواه مسلم ـ واللفظ له ؛ والترمذى ولفظه : « **مَنْ عال جاريتين دَخلْتُ أنا وهو الجنّة كهاتين ، وأشار بأصْبعَيْه السبّابَة والتى تليها** » ؛ وابنُ حِبّان فى صحيحه ولفظُهُ : قال رسول الله ﷺ : « **من عال ابنتين أو ثلاثاً ، أوْ أُخْتَيْن أو ثلاثاً ، حتى يَبِنَّ أو يموتَ عَنهنَّ كُنْتُ أنا وهو فى الجنة كهاتين وأشار بأصبعيْه : السبّابة والتى تليها** » .

٨ ـ عن « ابن عباس » ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ :

« **ما مِنْ مُسْلِم له ابْنتان فَيُحْسِن إليْهما ما صَحبتاهُ ـ أو صَحِبَهُما ـ إلّا أدْخلتاهُ الجنّة** » ـ رواه ابن ماجة بإسنادٍ صحيح ، وابن حبّان فى صحيحه من رواية « شُرَحبيل » عنه ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

٩ ـ عن « أبى هريرة » ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسولُ الله ﷺ :

« **مَنْ كفل يتيماً لهُ ذا قرابةٍ ، أو لا قرابة له ، فأنا وَهُو فى الجنّة كهاتَيْن ، ضَمَّ أُصبعيْه ، وَمَنْ سعى على ثَلاثِ بناتٍ فَهُو فى الجنّة ، وكان له كأجْر مُجاهِدٍ فى سبيل الله ، صائماً قائماً** » ـ رواه البزّار ـ .

١٠ ـ عن « عوْف بن مالكٍ » ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال :

« **ما مِنْ مُسْلِم يكونُ له ثلاثُ بناتٍ فيُنْفق عَلَيْهنَّ حتّى يَبِنَّ أوْ يَمُتْنَ إلّا كُنَّ له حجاباً من النّار** » فقالت له امرأة : أو بِنْتان ؟ قال : « **وَبِنْتان** » ـ رواه الطبرانى

١١ ـ عن « أبى سعيد الخُدْرى » ـ رضى الله عَنْه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَن كان لهُ ثلاثُ بناتٍ ، أو ثلاثُ أخواتٍ ، أو بنتان أوْ أُخْتان ، فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ واتّقى الله فيهنَّ فَلَهُ الجنّة** » ـ رواه الترمذىُّ واللفظ له ، وأبو داود إلّا أنّه قال : « **فأدَّبَهُنَّ ، وأحْسَنَ إليْهنَّ وزوَّجَهُنَّ فَلهُ الجنّة** » .

وفى رواية للترمذى : قال رسول الله ﷺ :

« لا يكونُ لِأَحَدِكُم ثلاثُ بناتٍ أو ثلاثُ أخواتٍ فَيُحسن إليهِنَّ إلّا دخل الجنّة » .

١٢ ـ عن « ابن عباس » ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ كانتْ لهُ أُنثى فَلَمْ يئِدْها ، ولم يُهِنْها ، ولم يُؤْثِر وَلَدَه (يعنى الذكور) عليْها ، أدْخلَهُ الله الجنة » ـ رواه أبو داود ، والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

١٣ ـ عن « المطّلب بن عبد الله الخزومى » ـ رضى الله عنه ـ قال :

[دَخَلتُ على « أُمّ سلمة » زوج النبىّ ﷺ فقالت : يا بُنَى ، ألا أُحَدِّثُك بما سمعْتُ من رسول الله ﷺ ؟ فقلْتُ : بلى يا أُمّه ، قالت : سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول :

« مَنْ أنفق على ابنتيْن ، أو أُختيْن ، أو ذواتىْ قرابة ، يَحْتسِب النفقَة عليْهما حتى يُغنيهما من فَضل الله ، أو يكفيهما ، كانتا لهُ سِتْراً من النّار »] ـ رواه أحمد ، والطبرانى .

١٤ ـ عن « جابر » رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ كُنَّ له ثلاثُ بناتٍ يؤويهِنَّ ، ويَرْحَمُهُنَّ ، ويكفُلُهُنَّ ، وجَبَتْ لهُ الجنّة » قيل : يا رسُول الله فإن كانت اثنتيْن ؟ قال : « وإن كانت اثنتين » قال : فرأى بعضُ القوْم أن لو قال : واحدة ؟ لقال : واحدة ... رواه أحمد بإسنادٍ جيّد ، والبزّار ، والطبرانى فى الأوسط وزاد : « وَيُزَوِّجهُنَّ » .

١٥ ـ عن « أبى هريرة » ـ رضى الله عنه ـ، عن النبىّ ﷺ أنه قال :

« مَنْ كُنَّ له ثلاثُ بناتٍ فَصَبَرَ على لأْوائِهِنَّ وضَرّائِهِنَّ وسَرّائِهِنّ أدْخلَهُ الله الجنّة برَحْمتِهِ إيّاهُنَّ » فقال رَجُل : واثنتانِ يا رسُول الله ؟ قال : « واثنتان » قال رجُل : يا رسول الله ، وواحدة ؟ قال : « وواحدة » ـ رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد .

نَظْـرةٌ فـي الأَدِلَّـة

نظرتنا فى الأدلة هى محْور بحثنا كله ، وعُنوان ، موضوعنا العام ...!.

ذلك أن الهدْى النبوىّ الشريف بحكمته البالغة وإشراقته الناصعة هُوَ الذى يرسم أبعاد (فضل تربية البنات) وينْتظم آماد تلك الفضائل دُنيا وآخرة (يُبيِّن الأُصُول والقواعد التى تقوم عليها التربية) .

ولقد أوْردْنا الأدلة (جُملةً) واحدةً بغرض شمول النظرة وتواصُل المعانى ، وبسطها كلها دفعةً واحدةً أمام البصر والبصيرة ، ولتتكامل الصورة بجُزْئياتها وظلالها وألْوانها فلا يكون هناك أدنى زيْغ أو خلل .

والمنطلق الأول ، أو المرتكز الذى تتمحْور حَوْله حركاتُ الإيجاب أوْ السلب فى إطار البيْت والأسرة ، هو : (المسؤولية) .

يقول مُعَلِّم الإنسانية ـ ﷺ ـ :

« إن الله سائلٌ كُلَّ راعٍ عمّا آسترْعاه ، حَفِظَ أم ضَيّع ، حتّى يَسْأَلَ الرَّجُل عن أهْل بَيْتِهِ » .

السائل هُو الله تعالى ، والمسئول هُو كُلُّ راعٍ عمّا يقع تَحْت يده ، وفى حوزته (الأمانة) الأدبيّة والمادية التى آسترْعى عليها وآستُحْفِظ ، بشكْلٍ عامٍ ، يُسْأل : هل حَفِظَ أمْ ضيَّع ؟ ليكون من ثَمَّ الحسابُ ثواباً أوْ عقاباً ، ويجىء تحديد الصُّورة الخاصّة من بعد التعميم بسؤال الرَّجُل الذى هُو راعى البيْت ، عن أهْله ...، زوجته وأبنائه وبناته ...، ماذا قدَّم لهم ؟ وماذا عمل من أجْلهم ؟ وهل راعى ربَّه ودينه ، وأدّى الذى عليْه من واجباتٍ ؟

وليست إقامة الرجُل فى هذا المقام اختياراً أو تشريفاً ، ولكنّها قَسْر ، وتكْليف ، قلّده إياها دَوْره الطبيعى فى الحياة ووظيفتُه الاجتماعية ، وكلّفهُ مَنْ سَنَّ لكُل مخلوقٍ سننه ، ووضع له ناموسه ومَنْهجه ، وأهَّله وهيّأه ، الله سبحانَهُ وتعالى !!! فلا مناص من السؤال والحساب .

وتتوزّع مسئولية الرعاية للبيْتِ بيْن الرجُل والمرأة ، الزوْج والزوجة ، على

ما خَلَفا وأنجبا ، « الرجل راعٍ فى أهله ومسئول عن رعيّته ، والمرأة راعيةٌ فى بَيْتِ زَوْجها ومسئولة عن رعيّتها » .

إذاً ... فالمرأة (الزوجة) تحْمِلُ نَصيبها فى الرعاية للبيْت من خلال دورها ووظيفتها الطبيعية أيْضاً ، وهذا الدوْر ، أوْ هذه الوظيفة لها جهاتها التى تتوجَّهُ إليْها ، وأهمُّها على الإطلاق تَرْبية الأبناء والبنات ، وليْس من ريْب فى أن هذا التوجُّه وتلك المسئولية من أعظم ما عرفت البشرية فى نشاطاتها الإنسانية والاجتماعية من مهمّاتٍ وواجبات ، خارج نطاق الأسْرة وداخلها .

ونحن إذ نَقُول بتربية الأبناء والبنات لا نَنسَى أهميَّة الزيادة المطلوبة فى الأُنثى ، زيادة الاعتناء والملاحظة ...، لِأننا نُدْرك دَوْر الأمومة المفْترض فيها مستقبلاً ، ذلك الدور الذى يصنع الْأجيال ويبنى الأمم ، ويحافظ على دَيْمُومتها وبقائها ، واستمرار رقيّها وتحضُّرها .

ولا يَظُنَّنّ إنسانٌ أنَّ هُناك توافقاً معنوياً بيْن قوْل الله تعالى عن أهل الجاهلية : ﴿ **وإذا بُشِّر أَحَدُهم بالأُنثىٰ مُسْوَدّاً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بُشّر به أيُمْسِكُه على هُونٍ أم يَدُسّه فى التراب** ﴾[1] وبيْن قول الرسول ﷺ : « **من آبْتُلِى من هذه البنات بشيْءٍ ...** » ، استناداً إلى كلمة « آبْتُلِىَ » ...، فهذا مُحال ...، لأن معنى الابتلاء هنا : الامتحان والاختيار ، على آعْتبار ما يتطلّبه موضوع تربية الأُنثى من جَهْد ونَصَب ، ولأنه ذو قيمةٍ وأهمّيَّةٍ بالغتيْن ، أَلَسْتَ ترى قوله ﷺ : « ... **فَأحْسَن إليْهنّ كُنَّ له سترا من النّار** » ؟!! سِتْراً من النّار !!! ، حِفْظاً من جهنَّم ، مثوى الكافرين والمنافقين والظالمين ، ومهوى المتكبِّرين والغافلين !!! .

إن تربية البنات بالإحسان والإتقان ، وعلى منهج الرحمن ...، سبيل إلى الرضوان ووقاية من حُمم النِّيران .

ويقول ﷺ فى حديث آخر عن المرأة التى آثرت ابنتيْها بحبّة التمْر ، على نَفْسها : « **إن الله قد أوْجب لها بهما الجنّة ، أو أعتقها بهما من النار ...** » .

ويزيد النبى ﷺ فى بيان الأجْر والثواب لِمن يُرَبى البنات ويُحْسن إليْهن ، فيقول :

---

(١) النحل : ٥٨ـ٥٩ .

« من عال جاريتين دَخلْتُ أنا وهو الجنة كهاتين ، وأشار بأصبعيه السبّابة والتى تليها » ؛ فأىُّ أجْرٍ وثوابٍ أكبر من أن يُحشَر هذا المُربّى مع رسُول الله ﷺ فى الدخول إلى الجنة بفارقٍ بسيط ، هو مابَيْن الإصبع السبّابة والوُسْطى ؟!! .

وفى أىِّ شَىْءٍ ؟ ...

فى الإعالة أوّلاً ، فى الإنفاق والكسْوة والإطعام ، وفى التعليم والتوجيه ...، فى المقتضيات الضروريَّة من الرعاية الإنسانية .

ويُصور رسول الله ﷺ مُدَّة الإعالة ...، حتى بِبْنوتَهِنَّ ، بالدُّخول إلى بَيْتِ الزوجيَّة ، وبهذا تنتقل المسئولية ، أو يموت الرجُل عَنْهُنّ ، فتنتقل المسئولية أيْضاً إلى من يلى أمرهُنّ .

فليْستِ المدة ، أشْهُراً أو سنواتٍ ، أو زماناً معيّناً مُحدّداً ، بل هى مطلقة ، لاتنتهى وتتوقف إلا بتغير الموقع الاجتماعى ، بالزواج ...، أ فراق العائل لهُنّ فراقاً أبديّاً .

ويرتفعُ الأجْر ...، ويعْظم الثّواب ...، وتَتَبدّى الفضيلة إشراقاً وبهاءً وسطوعاً حتى تُسامت الجهاد فى سبيل الله ..

إن فضيلة التربية (مُكابَدَة) ، وكذلك (الجهاد) ...

وأىُّ جهادٍ !!!؟.

مع الصَّوْم ...، ومع القيام ...، مع الانقطاع عن شهْوتَىْ الفرج والبطْن ، وَلَغْو الكلام ، وطهارة المظهر والمخْبَر ؛ ومع التوجُّه الخالص إلى الله تعالى رُكوعاً وسجوداً ... وذِكْراً .

يقول ﷺ : « ... ومن سعى على ثلاثِ بناتٍ فهو فى الجنة ... » ، سَعْى الإنفاق ، وسعى التربية النفسية والتوجيه الخُلقىِّ والأدبىّ ، سعْى الزوج والزوجة ، سعْى الأب والأمّ . وماذا يكون لهُما من مرتبةٍ فى الجنّة ؟! القُرْب من رسول الله ﷺ ...، ومنزلة المجاهد فى سبيل الله ، القائم الصائم .

ويبين لنا الرسول الأكرم ﷺ بعد ذلك تفصيل المجْمل من السَّعْى والتربية ،

والمقصود منهما ، فيقول : « ... **فَأَحْسَنَ صُحبَتَهُنَّ واتقى الله فيهنَّ ...، فأدَّبَهُنَّ وأَحْسَنَ إليهنَّ وزوَّجَهُنَّ فَلَهُ الجنّة** » .

لقد علمنا من قَبل المنزلة فى الجنّة ، ونتعلّم الآن أبواب وواجبات حُسْن العشرة ؛ فلا بُدّ من « حُسْن الصُّحْبة » .

نعم هُنّ بناتُه !! ولهُ عَلَيْهنّ الطاعة والاحترام ، ولكن إنما يتأتّى ذلك من خلال « حُسْن الصحبة » ؛ إذ أن رقّة الشعور وشِدّة الحساسية ولُطْف الأنوثة تَقْتضى من الأب آختيار الأسلوب والعبارة والإشارة ، كى تتوافق مع طبيعتِهنّ...

والأمّ أَوْلى لاتّحاد النّوعيّة ، فهى أكثر خِبْرة وأعظم تَجْربةً فى بنات جِنْسها ، أضِفْ إلى ذلك رابطة الأمومة وما يتولّد عنها من حُبٍّ وعطف .

« وحُسْنُ الصحْبة » إنما يكونُ فى مرحلة ما بعد البلوغ ، ويقوم على التّوادّ والصراحة ، والانفتاح الشعورى والنفسىّ المتبادل بيْن الطرفَين ..

وتَقْوى الله فِيهنَّ ...، المبدأ الثانى فى التّعامُل ...، هى الميزان الذى يَضْبطُ به الأبُ والأمّ كفتى الحقوق وللواجبات مع البنات ، من غَيْر إفراط فى التَّزمُّت الجاهلىّ الذى يهدِّم الشخصيّة ويقضى عليها ، ومن غير تفريطٍ فى الحدودِ الشّرعية إلى حدّ الانفلات والانحراف .

وتتوضّح الصورة التى يَقصد إليها المصطفى ﷺ ، فيقول :

« ... **فأدَّبهُنَّ ... وأحْسَنَ إلَيهِنَّ ... وزوَّجَهُنَّ ...** » .

فـ « التَّأديبُ » تركيزٌ للقواعد الخلقيّة المسلكيّة فى الذات ، وتَعْليمٌ يتوازى ومقتضيات الضرورة الحياتية والوظيفية الاجتماعية .

و « الإحْسان إلَيْهنَّ » يكُونُ بالمساواة فى الحقوق الأدبية والمادّية ، وبإعطائهن ما يَسْتَحققْنَ من النواحى الإنسانية ، فى العلْم وحُرّيّة الاختيار ، وغير ذلك ؛ وكذلك العطف الذى يستلْزِمُه ضَعْفُهُنّ الجنسىّ والنوْعى .

« وزوّجَهُنَّ ... » مِمَّنْ يكافئهنّ مركزاً اجتماعياً ، ويرعاهُنَّ خُلُقاً ودِيناً ، ويحافظ عَلَيْهِنّ محافظته على ذاته .

فكان العائل بهذا قد أتَمَّ ما علْيه من (واجباتٍ) تجاه (البنات) ، (فآستحقّ) الجنّة !!!.

ويَعْرض ﷺ بعد هذا للأعراف (الجاهلية) وتقاليد (الضّلالة) ، لِينْزع من أعماق النَّفس العربيَّة ، ما ألفتْهُ دهُوراً طوالاً ، وليُكرِّس حق إنسانيّـة الأُنثـى ، وعلى مستوى واحدٍ مع الذكر ، تصديقاً لناموس الله تعالى وقانونه : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسِكُم أزْواجاً** ﴾[1] .

فيقول : « **مَنْ كانتْ له أُنثى فَلَمْ يِئِدْها** ... » تخلُّصاً من عارها تارة كما يزعمون ، أوْ خشية الفقر والإملاق تارة أُخرى ، فَأفْتأتوا على الله تعالى فى حقّ الحياةِ الذى وهَبَهُ لها ، ويكفى تساؤله تعالى يوم القيامة ، فى التَقْريع واللوْم ، ﴿ **وإذا الموءودة سُئلت بأى ذَنْبٍ قُتِلَتْ** ﴾ ، يكفى ذلك لإثارة مِسْكَةِ العَقْل عِنْد الجانى ...، المجرم ...، المتجاوز لحدود الله !!!.

وأيْضاً : « **لم يُهِنْها** ... » فى إزْرائها ، وبَخْسِها حقُوقها ، وعَضْلها فى البيْت لِلْخِدمة ، أو حِرْمانها من نَسْمةِ الحريّة والإنسانيّة ، وقهْرها فى عواطفها ومشاعرها ...

« **وَلَمْ يُؤْثر وَلَدَه** » فى تَفْضيل الذكور على الإناث ، فكأنّه يَرْفَعُ أُناساً ويخفض آخرين بمنطقه الجاهليّ الأعمى ، ويَضْرب بالقانون الإلهى عرْض الحائط ، ويَجْعله دَبْر أُذنيْه وعينيه وعقْله .

إن المكابدة فى (التربية) ...، تربية البنات ، لما هُنَّ عليْه من كيْنونةٍ متميِّزة ، ورسالةٍ مستقبليّةٍ منتظرة ، ودَوْر أساسىٍّ ، ووظيفةٍ من أشَقّ الوظائف الحياتية ، هذه المكابدة تقتضى الصَّبْر ، وتستلْزم المصابرة ، وما يتفرَّع عنهما من لأْواء وضرّاء وسرّاء ...، فَمَنْ فَعَلَ ذلك من ذكرٍ أو أُنثى ، من زوْجٍ أو زوْجة ...، من مُنطلق الرحمة والعطف والحنان ، أدْخلَهُ الله الجنة ثواباً طيّباً من عنده .

يقول ﷺ :

« **مَنْ كُنّ له ثلاث بناتٍ فَصَبرَ على لأوائِهِنّ وضَرَّائِهِنَّ وسَرَّائِهِنَّ أدْخله الله الجنّة بِرَحْمَتِهِ لهُنَّ** » ...

حتى ولو كانت واحدة ...

وعلى هذا : فَنِعْم أجْرُ العاملين ، المؤمنين الصادقين الطائعين !!!.

---

(١) الروم : ٢١ .